

فَتَحَ الرَّحْمَنِ

فِي

تَفْسِيرِ أَعْظَمِ آيَةٍ

فِي الْقُرْآنِ

تأليف

علي بن سالم بن يعقوب باوزير

غفر الله له ولوالديه

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس

حضر موت . غيل باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي

حضر موت . غيل باوزير . معين الشيخ

# تَفْسِير

# آيَةِ الْكُرْسِيِّ

تأليف

علي بن سالم بن يعقوب باوزير

غفر الله له ولوالديه

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس  
حضر موت . غيل باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي  
حضر موت . غيل باوزير . معيان الشيخ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الأمين ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، فصلوات ربي عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فهذا تفسير موجز لأعظم آية في القرآن ، يبين ما فيها من المعان ، ويوضح ما فيها من الأحكام ، بعبارة سهلة ميسرة ، لينتفع به الخاص والعام ، بإذن الله تعالى ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

### ( آية الكرسي )

﴿ الله لا إله إلا هو ، الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلي العظيم ﴾ .

هذه الآية تسمى آية الكرسي ، سميت بذلك لأن الله جل وعلا ذكر فيها الكرسي فقال : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ ، والسور والآيات تسمى ببعض ما يذكر فيها ، كسورة البقرة لما ذكر فيها من قصة البقرة ، وآية الدين لما ذكر فيها من أحكام الدين .

### ( فضل آية الكرسي )

هذه الآية هي أعظم آية في كتاب الله تعالى ، وحق لها أن تكون كذلك ؛ لما اشتملت عليه من أوصاف الرب جل جلاله ، وعظم سلطانه ، وتقدير توحيده بأنواعه الثلاثة : الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، فإن شرف الذكر بشرف المذكور ، وشرف العلم بشرف المعلوم ، ولا شك أن ذكر الله هو أشرف أنواع الذكر على الإطلاق ، كما قال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ، والعلم بالله هو أشرف أنواع العلوم بلا خلاف ، كما قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ، ولهذا روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال

رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ قال : فضرب في صدري ، وقال : ( ليهنك العلم أبا المنذر ) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي ، وإنما ذكر الله في أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر عدة آيات ، لا آية واحدة . اهـ .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكنتي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، قال : فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي ﷺ : ( يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ ) قال : قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته وخليت سبيله ، قال : ( أما إنه قد كذبك وسيعود ) ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ : إنه سيعود ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني فإنني محتاج وعلي عيال لا أعود ، فرحمته وخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : ( يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ ) ، فقلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالا ، فرحمته فخليت سبيله ، قال : ( أما إنه قد كذبك وسيعود ) ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود ، فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : ( ما فعل أسيرك البارحة ؟ ) قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟ قال : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح . وكانوا أحرص شيء على الخير . فقال النبي ﷺ : ( أما إنه صدقك وهو كذوب ) ، تعلم من خاطبك منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قلت : لا ، قال : ذاك شيطان .

وثبت أيضا عن النبي ﷺ أنه قال : ( من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت ) رواه النسائي وغيره ، يعني أن من قرأ آية الكرسي عقب الصلاة ، ثم مات

فهو إلى الجنة بفضل الله ورحمته ، فليس بينه وبين دخول الجنة إلا أن يموت ، فإذا مات دخل الجنة ، وهذا فضل عظيم .

### ( تفسير آية الكرسي )

هذه الآية اشتملت على عشر جمل ، كل جملة دلت على معنى عظيم .

### ( الله لا إله إلا هو )

### ( الجملة الأولى )

يقول الله تبارك وتعالى مقررا التوحيد أولا قبل كل شيء : ( الله لا إله إلا هو ) ( الله ) علم على الرب تبارك وتعالى ، فهو اسم لرب العالمين ، خاص به سبحانه وتعالى لم يسمَّ به أحد غيره، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، قال تعالى : ( هل تعلم له سميا ) ، وأصله : الإله ، لكن العرب استثقلت هذه الهمزة لكثرة استعمال الكلمة فحذفتها ، فأصلها : الإله حذفت منها الهمزة تخفيفا ، وأدغمت اللام في اللام ، فصارت ( الله ) .

### ( الله هو الاسم الأعظم )

وهذا الاسم عند جمهور العلماء هو اسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ولهذا تتبعه بقية الأسماء والصفات ، كما في قوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ﴾ ، وقال تعالى : ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) فأضاف سائر الأسماء إليه ، ولهذا يقال : الرحمن الرحيم الملك القدوس ... من أسماء الله تعالى ، ولا يقال : الله من أسماء الرحمن الرحيم ، فدل ذلك على أن هذا الاسم هو الأصل .

وقال بعض العلماء : اسم الله الأعظم هو ( الحي القيوم ) حيث ذكر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع : في آية الكرسي ، وفي أول سورة آل عمران ، في قوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ ، وفي سورة طه ، في قوله تعالى : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ ، واختار ذلك الإمام ابن القيم وشيخنا العلامة ابن عثيمين رحمهما الله تعالى ، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه (الحي) لأنه يستلزم جميع الصفات ، واستدلوا على ذلك بما رواه الحاكم ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ( إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور في القرآن : في سورة البقرة ، وآل عمران ، وطه ) ، وما قاله

جماهير العلماء من أنه ( الله ) هو الأقرب ، لأن بعض الأحاديث التي ورد فيها اسم الله الأعظم ليس فيها ( الحي القيوم ) ، كحديث بريدة الأسلمي ، رضي الله عنه ، الذي رواه أهل السنن : ( أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو ، وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فقال: والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ) ، ولما ذكرناه سابقا من أنه تتبعه بقية الأسماء ، كأوصاف له سبحانه وتعالى ، اللهم إلا أن يكون كلاهما اسم الله الأعظم ، غير أنني لم أر من ذكر ذلك ، ولا مانع منه ، لأن التفضيل لا يمنع التشريك ، كما قيل في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ ، مع قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، وعليه فإذا أراد العبد أن يدعو الله باسمه الأعظم حتى تستجاب دعوته فعليه بهذا الاسم ، وكذلك بقية أسمائه تعالى ، فقد أمرنا سبحانه بأن ندعوه بها ، فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ، كأن تقول يا غفور اغفر لي ، أو يا رحيم ارحمني ، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، فقال : قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم ) ، ومن ذلك أيضا : ( ذو الجلال والإكرام ) ، فإن النبي ﷺ قال : ( أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما ، والمعنى : الزموه ، وأكثروا من الدعاء به .

### ( إشكال وجواب )

فإن قال قائل : كثيرا ما ندعو الله تعالى باسمه الأعظم أو بغيره من أسمائه ، ولا نرى إجابة ، فكيف ذلك ؟ فالجواب : للدعاء آداب وشروط ، وله أيضا موانع تمنع من إجابته ، فإذا تحققت الشروط ، وانتفت الموانع حصلت الإجابة ، بإذن الله تعالى ، تحقيقا لوعده الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ فإن الله لا يخلف الميعاد ، وهو أصدق القائلين ، ثم إن الإجابة على ثلاثة أنواع ، الأول : أن يتحقق لك ما سألت بالفعل كأن تطلب من الله مالا فيعطيك المال ، أو تطلب ولدا فيعطيك الولد ، والثاني : أن يدخر الله لك أجر هذا الدعاء فتجده يوم القيامة ، وأنت أحوج ما تكون إليه ، والثالث : أن يدفع الله عنك من البلاء والسوء بدعائك هذا ، كما قال النبي ﷺ : (

لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ) رواه الترمذي وغيره ، وذلك فضل عظيم ، وإن كان أكثر الناس عن هذا الفضل لغافلين .

كل ذلك إذا توفرت الشروط ، وانتفت الموانع ، فإن وجد مانع لم تحصل الإجابة ، ومن موانع إجابة الدعاء أكل الحرام وشرب الحرام ولبس الحرام قال النبي ﷺ : ( إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ﴾ ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له ) رواه مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ ( إله ) معناه مألوه أي معبود ، فوزنه فعّال ، بمعنى مفعول ، كقولك : هذا كتاب أي مكتوب ، وهذا غراس أي مغروس ، ومن ذلك ( إله ) بمعنى مألوه ، أي معبود ، سمي بذلك لأن القلوب تأله سبحانه وتعالى محبة وإجلالا وتعظيما ، وذلا وخضوعا وتكريما ، وعليه فمعنى : ( لا إله ) أي لا مألوه ، أي لا معبود حق ( إلا هو ) سبحانه وتعالى ، وهذا هو معنى كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله ) أي : لا معبود حق إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما قلنا : ( حق ) ؛ لأن هناك معبودات كثيرة غير الله تعالى ، كما قال الله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾ ، ولكن عبادة غير الله تعالى كلها باطلة ، كما قال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ .

هذا وقد ضل كثير من الناس . مع انتساب بعضهم إلى العلم . في فهم هذه الكلمة العظيمة ، التي بها يدخل المرء في الإسلام ، وهي مفتاح دار السلام ، ومن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة بأمان وسلام ، وعليها مدار الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ، حيث توهموا أن معناها : لا قادر على الاختراع إلا الله ، أو لا خالق إلا الله ، وهذا خطأ عظيم في فهم هذه الكلمة ، وبطلان ذلك من وجوه : أولا : لا يعرف في كلام العرب أن ( إله ) بمعنى خالق ، أو قادر على الاختراع ، ثانيا : لم ينقل هذا المعنى من جهة الشرع لا في الكتاب ولا في السنة ، ثالثا : لم يعرف هذا المعنى عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، والذين هم أفقه هذه الأمة

بعد نبينا ﷺ ، رابعا : أن المشركين كانوا يقرون بأنه لا خالق إلا الله كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك في آيات كثيرات ، كقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ ، كل ذلك يدل دلالة قاطعة على أنهم يقرون بأنه لا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا الله ، ولا مدبر إلا الله ، ومع ذلك فقد أبوا أن يقولوا : لا إله إلا الله ، وكابروا وعاندوا ، وقتلوا وقتلوا ، مما يدل على أن المعنى مختلف باختلاف الليل والنهار ، ولهذا قال الله عنهم : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ وإنما كانوا يستكبرون لأن معناها يختلف اختلافا عظيما عما يقرون به ، فهم يقرون بتوحيد الربوبية ، وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير ، فيشهدون أنه لا خالق إلا الله ولا مالك إلا الله ولا مدبر إلا الله ، ولا يستكبرون عن الإقرار بذلك ، كما أخبر الله عنهم في آيات كثيرات ، وينكرون توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله بالعبادة ، فكانوا يعبدون معه غيره ، ولهذا قالوا متعجبين : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ ، وأين تذهب اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وإساف ونائلة ، وقبل ذلك ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وربنا جل وعلا يذكّهم بتوحيد الربوبية الذي يقرون به ليلزمهم بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ ثم ذكر ما هو كالتعليل لذلك ، فقال : ﴿ الذي خلقكم ﴾ أي اعبدوه سبحانه وتعالى وحده ؛ لأنه هو ﴿ الذي خلقكم و ﴾ خلق ﴿ الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وهو أيضا وحده ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ وبعد أن أمرهم بعبادته ، وذكّرهم بربوبيته التي يقرون بها نهاهم عن الإشراك به ، فقال : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ أي تعلمون أنه لا خالق ، ولا مالك ، ولا مدبر إلا الله ، فإذا كنتم تقرون بأنه لا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا الله ، ولا مدبر إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، لزم من ذلك أن يكون لا معبود إلا الله ، إذ كيف يُعبد من لا يخلق ، ولا يملك ، ولا يدبر ، ولا يرزق ، ممن هو مخلوق لله ، ومملوك لله ، الله يرزقه ، ويدبر أمره ؟ ولهذا قال تعالى منكرا عليهم : ﴿ أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ ، ثم قال : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ﴾



، وقال تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوي عزيز ﴾ ، فقرر بذلك أن الواجب هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة ، كما يُفرد سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير، وأنه لا يجوز أن يُشرك معه أحد من خلقه لأنهم لا يخلقون ولا يملكون ، ولا يدبرون ولا يرزقون ، بل هم مخلوقون مملوكون مدبرون مرزوقون من قِبَلِ الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيهما ﴾ أي في السموات والأرض ﴿ من شرك ﴾ فليسوا شركاء لله تعالى في خلقهما ، ولا ملكهما ، ولا تدبيرهما ﴿ وما له منهم ﴾ أي من خلقه ﴿ من ظهير ﴾ أي معين ومساعد في خلقهما .

ومما يؤكد ذلك أن النبي ﷺ لما طلب من عمه أن يقول هذه الكلمة ، حتى يحاج له بها عند الله ، وقال : يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله ، أباي إلا أن يقول : هو على ملة عبد المطلب ، مما يدل على أن ملة عبد المطلب ليست قائمة على لا إله إلا الله ، ويدل أيضا على أن معناها ليس هو المعنى الذي يتوهمه بعض الناس من أنه لا خالق إلا الله لأنهم يقرون بذلك ، ويدل أيضا على أن المشركين الأولين أعلم بمعنى هذه الكلمة من كثير من الناس ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم ، ولهذا امتنعوا من قولها ، وبسبب هذا الإخلال في فهم معنى هذه الكلمة العظيمة وقع كثير من الناس في الشرك بالله جل وعلا ، وفي صرف العبادة لغير الله تبارك وتعالى من دعاء واستغاثة وذبح ونذر لغير الله ، وهم يقولون صباح مساء : لا إله إلا الله ، يقولونها بأفواههم ، ويخالفونها بأعمالهم ، لأنهم لم يفقهوا معناها ، فحالهم كالذي يصلي وهو يبول ومستمر في صلاته ، ولا يدري شيئا عن حقيقة الصلاة ، ولا نواقض الوضوء ، وهذا خطأ عظيم ، وفيه خطر كبير .

فقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ (لا) ههنا نافية للجنس ، و(إله) اسمها مبنى على الفتح في محل نصب ، والخبر محذوف تقديره (حق) فالمعنى : لا معبود حق إلا هو ، سبحانه وتعالى ، لقوله جل وعلا : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ ، ولا يصح أن يقدر الخبر المحذوف (موجود) ، فيكون المعنى : لا معبود موجود إلا الله ، فهذا المعنى باطل ، لأنه يستلزم أن تكون جميع الآلهة التي تُعبد هي الله ، لأنها معبودة وموجودة ، وهذا معنى فاسد ، فتعين أن الخبر المحذوف تقديره : (حق) ، وعلى هذا يكون الضمير (هو) بدلا من الخبر المحذوف .

### (الجملة الثانية) (الحي القيوم)

ثم قال تعالى : (الحي القيوم) وهذان اسمان من أسماء الله تعالى ، متضمنان لوصفين ، وهما : الحياة والقيومية ، أما (الحي) فهو الكامل في حياته ، فحياته جل وعلا كاملة من جميع الوجوه ، لأنها لم تُسبق بعدم ، ولا يلحقها فناء ، ولا نقص فيها بحال من الأحوال ، لا في السابق ولا في الحاضر ولا في اللاحق ، على عكس حياتنا ، فإنها ناقصة في جميع الأحوال ، فإننا لم نكن شيئا مذكورا ، بل كنا أمواتا فأحيانا الله ثم يميتنا ، قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ ، والاستفهام ههنا للتقرير ، أي قد أتى عليه زمن لم يكن شيئا مذكورا ، كما قال تعالى لذكرى عليه السلام : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ﴾ ، وحياتنا بين ذلك ناقصة أيضا ، لما يصيبنا فيها من مرض ونوم وجهل ونسيان ، وعجز وحاجة ، والله جل وعلا حي دائم لا يموت أبدا ، وهو الغني عن خلقه ، قال تعالى : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ ، وقال : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، وقال : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ، فهو الأول الذي ليس قبله شيء ، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء سبحانه وتعالى .

وأما (القيوم) فهو صيغة مبالغة من القيام ، فله القيام الكامل ، فهو سبحانه وتعالى قائم بنفسه وذاته ، غني عن جميع مخلقاته ، بل هي مفتقرة ومحتاجة إليه سبحانه ، وهو لا يحتاج إلا شيء منها ، لكمال قيوميته سبحانه وتعالى ، فمعنى (القيوم) القائم بنفسه المقيم لغيره ، فكل شيء يقوم بأمره جل وعلا ، قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس

، وكل المخلوقات مفتقرة ومحتاجة إليه سبحانه ، وهو الغني عنها لا يحتاج إلى شيء منها ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ ، ولهذا كان من أسمائه تعالى (الصدد) ، في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ والصدد هو الكامل في ذاته وصفاته ، المفتقرة إليه جميع مخلوقاته ، ومثله القيوم هو القائم بذاته ، المقيم لمخلوقاته ، وهذان الاسمان والوصفان يجب علينا أن نثبتهما لله تبارك وتعالى ، على قاعدة أهل السنة والجماعة في ذلك ، فإنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبتته لنفسه ، أو أثبتته له رسوله ﷺ ، من الأسماء والصفات والأفعال المثبتة أو المنفية ، ولا يقدمون عقولهم وآراءهم بين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن عقولهم قاصرة مهما بلغت من العلم ، كما قال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ، فلا أحد أعلم من الله بنفسه تعالى ، ولا أحد من الناس أعلم بالله من رسوله ﷺ ، لذلك فهم يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه من غير تمثيل ولا تكييف ، ولا تعطيل ولا تحريف ، امتثالا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فنثبت لله اسم السميع واسم البصير ، وصفتي السمع والبصر ، لكن ليس كمثله شيء ، فليس كسمعه سمع ، ولا كبصره بصر سبحانه وتعالى ، وهكذا له سبحانه وتعالى حياة ، والمخلوق له حياة ، لكن حياة الله تبارك وتعالى لا تماثل حياة المخلوقين ، فحياته تليق بجلاله وعظيم سلطانه ، فهي كاملة من جميع الوجوه ، لا نقص فيها بحال من الأحوال ، وحياتنا نحن تليق بحالنا وعجزنا وقصورنا ، وحاجتنا وافتقارنا .

### ( الجملة الثالثة ) ( لا تأخذه سنة ولا نوم )

قوله تعالى : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ أي لا تغلبه ( سنة ) أي مقدمة النوم وهي النعاس ( ولا نوم ) الذي هو أقوى من السنة كذلك لا يغلبه ، كل ذلك لبيان كماله وعظمته وسلطانه وغناه سبحانه وتعالى ، فقد بلغ الغاية في صفات الكمال والجلال ، أما نحن فإننا ننام لقصور حياتنا ، ويغلبنا النعاس لأننا قائمون بغيرنا ، لا بأنفسنا ، أما الله جل وعلا فإنه لا يغلبه النعاس ، بل ولا النوم الذي هو أقوى من النعاس وذلك لكمال حياته وكمال قيوميته سبحانه وتعالى ، إذ كيف ينام سبحانه وهو القائم بأمر هذه الخلائق كلها عن بكرة أبيها ، على اختلاف أنواعها وأشكالها وطبائعها على مر هذه القرون الطويلة ، ( الله أكبر ) فما أعظم هذا الإله ، وما أجل هذا الرب ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ ، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات ، فقال : ( إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل

النهار قبل عمل الليل حجابته النور . أو النار . لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ) ، فكيف ينام سبحانه وتعالى وبه قيام جميع الخلائق ؟ لو نام لحظة واحدة لهلكت هذه الخلائق ، أرايتم لو أن شخصا قيل له : أمسك هاتين القارورتين واحفظهما عن الوقوع ، فإنه ولا بد أن ينام ، فإذا نام سقطت القارورتان ، وتكسرتا ، والله جل وعلا حافظ هذه المخلوقات ، ومن ذلك السموات والأرض وما فيهما ، ولو نام سبحانه وتعالى لفسدت السموات والأرض ، واختل نظامهما كما قال تعالى : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير ﴾ ، لهذا لا ينبغي له سبحانه وتعالى أن ينام .

قال الإمام الطبري رحمه الله : لو نام لكان مغلوبا مقهورا ، لأن النوم غالب النائم قاهره ، ولو وسن لكانت السموات والأرض وما فيهما دكا ، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته ، والنوم شاغل المدبر عن التدبير ، والنعاس مانع المقدر عن التدبير بوسنه . اهـ .

**فائدة :** الصفات المنفية يراد منها إثبات كمال الضد ، لأنها لا تكون كامالا إلا بذلك ، فالنفي المحض لا مدح فيه ، وإنما يكون المدح في النفي إذا تضمن هذا النفي كامالا ، فإذا قلت : هذا الجدار لا يظلم ، فإنه ليس مدحا فيه ؛ لأنه عاجز عن الظلم ، فهو لا يظلم لعجزه ، وتقول : فلان لا يظلم ، تمدحه بذلك إذا كان غير عاجز عن الظلم ، فإنه لا يظلم لا لعجزه ، ولكن لعدله ، وهكذا الصفات المنفية عن الله تبارك وتعالى لا تكون مدحا وكمالا إلا إذا أثبت كمال ضدها ، فالله جل وعلا لا يظلم لكمال عدله ، قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ أي العدل ﴿ ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل ، أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ، وهكذا لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وقيوميته جل وعلا .

#### ( الجملة الرابعة ) ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾

قوله تعالى : ﴿ له ما في السموات والأرض ﴾ معناه : أن السموات والأرض وما فيهما لله سبحانه وتعالى خلقا وملكا وتدبيرا لا لأحد غيره ، استفدنا هذا الحصر من تقديم ما حقه التأخير ، وذلك أن (له) خبر مقدم، و(ما) اسم موصول مبتدأ مؤخر ، والأصل : ما في السموات وما

في الأرض ملك له سبحانه وتعالى ، والقاعدة عند علماء العربية هي : أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر ، فإذا قُدم شيء حقه أن يكون متأخرا دل ذلك على الحصر ، كقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا إياك ، وهكذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ له ﴾ أي وحده لا شريك له ﴿ ما في السموات وما في الأرض ﴾ و(ما) ههنا اسم موصول بمعنى الذي وهو من صيغ العموم ، أي يملك كل الذي في السموات ، وكل الذي في الأرض من المخلوقات ، بما في ذلك السموات جميعها ، والأرض كلها لله ، فهما وما فيهما ملك لله جل وعلا ، فالملائكة والجن والإنس كلهم ملك لله تبارك وتعالى ، وعبيد له جل وعلا ، كما قال سبحانه : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴾ ، وكذا العرش والكرسي ، والجنة والنار ، والشمس والقمر والنجوم ، كلها ملك لله جل وعلا ، وكذلك الأرض وما فيها من جبال وأشجار ، ونبات وبحار ، ودواب وأنهار ، على اختلاف أشكالها وألوانها ، كلها خلق لله ، وملك لله جل وعلا ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ ، ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ، فلا خالق لها إلا الله ، ولا مالك لها إلا الله ، قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ .

ويتفرع على ذلك الاستسلام لشرعه وقدره ، أما شرعه فذلك بالقيام بطاعته وترك معصيته ، كحال العبد مع سيده ومالكه ، وأما قدره فهو التسليم لقضائه وقدره لأننا ملك لله ، فله أن يفعل في ملكه ما يشاء ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ ، ولهذا قال تعالى في وصف عباده الصابرين ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله ﴾ أي ملك له سبحانه ، فله أن يفعل فينا ما يشاء ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ أي صائرون ، مع تيقنهم أن الله تعالى لا يشرع لهم ، ولا يقدر لهم إلا ما فيه الخير والصلاح ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، وإن ظهر لهم خلافه ، كما قال تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ، وقال تعالى في النساء : ﴿ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ .

( الجملة الخامسة ) ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾

قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ بعد أن بين سبحانه وتعالى تفردّه بالعبادة ، وقرر كمال حياته وقيوميته على خلقه ، وبين أيضاً تفردّه بالخلق والملك لكمال سلطانه جل وعلا ، ونفى أن يكون لأحد معه شيء من هذا الخلق وهذا الملك ، نفي أيضاً الشفاعة أن تكون لأحد إلا بإذنه ، كما قال تعالى : ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ ، وذلك أن المشركين كانوا يتعلقون بمعبوداتهم وأوثانهم التي يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى ، وكانوا يعبدونها رجاء أن تشفع لهم عند الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ، فقطع الله عليهم جميع العلائق والأسباب التي كانوا يتمسكون بها ، فنفى أولاً أن يكون لأحد ملك في السموات والأرض ، أو أن يكون أحد شريكا لله تعالى فيهما ، أو أن يكون أحد معيناً له ، ساعده وعاونه في خلق السموات والأرض ، ولم يبق للمشركين شيء يتعلقون به في آلهتهم التي يعبدونها من دون الله إلا الشفاعة ، فهم يزعمون أن آلهتهم لها منزلة ومكانة ، وستشفع لهم عند الله تعالى ، فأبطل الله ذلك أيضاً ونفاه ، ولم يُبقِ لهم شيئاً يتمسكون به ، فذكر ذلك سبحانه وتعالى في آية واحدة ، فقال في سورة سبأ : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيها من شرك ، وما له منهم من ظهير ﴾ أي معين ، فليس لهم شيء من الملك ، وليسوا شركاء لله ، ولا معاونين له سبحانه وتعالى ، ثم قال : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ فقطع عليهم كل العلائق التي يتشبثون بها ، بل إن الله تعالى لم يُحضرهم حين خلق السموات والأرض ولا حين خلقهم ، كما قال تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ .

وها هنا يقول سبحانه : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ الصيغة ههنا صيغة استفهام ، فالمعنى : من هذا الذي يتجرأ ويتجاسر أن يتقدم بين يدي الله تبارك وتعالى ، فيشفع عنده لأحد بغير إذنه ، والشفاعة : هي التوسط للغير بجلب نفع أو دفع ضرر ، والمراد من الاستفهام ههنا الإنكار والنفي ، أي لا أحد يتجرأ أبداً ، لا من الملائكة ولا من الرسل ولا من الأنبياء ، ولا من الصديقين ولا من الشهداء ولا من الصالحين ، إلا إذا أذن الله له سبحانه وتعالى ، ومن باب أولى من هم دون ذلك من الأوثان والأصنام فإنها لا تُمكن أصلاً من ذلك ، وذلك لعظيم سلطان

الله جل وعلا في ذلك اليوم ، وكمال قدرته وقوته وجبروته وكبريائه جل وعلا ، وعموم ملكوته على جميع خلقه سبحانه وتعالى ، فإن ملكه في ذلك اليوم يظهر ظهورا بينا ، وإن كان جل وعلا له الملك المطلق ، والسلطان الكامل والسيطرة والهيمنة في جميع الأزمنة ، في يوم القيامة وفي غيره من الأيام ، ولكن ملكه وسلطانه يظهر في ذلك اليوم ظهورا بينا ، حيث لا منازع ، ولا مدعٍ ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فلا أحد يجيب ، فيجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ ، لأجل هذا لا أحد في ذلك اليوم يجسر على أن يتوسط لأحد مهما بلغت مكانته وعلت منزلته عند الله تعالى ، إلا إذا أذن الله له ، فإذا أذن سبحانه وتعالى لبعض خلقه أن يشفع شفع ، فإن لم يأذن لم يشفع ، وبهذا نعلم أن الشفاعة . كما هو معتقد أهل السنة والجماعة . نوعان : نوع مثبت ، وهو ما توفرت فيه ثلاثة شروط ، وهي : أن يرضى سبحانه عن الشافع ، وأن يرضى عن المشفوع ، وأن يأذن في الشفاعة ، والشفاعة المنفية هي التي اختل فيها شرط من هذه الشروط الثلاثة ، كما قال سبحانه : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم ، لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ ، فالشفاعة المنفية ههنا الشفاعة التي لم تتوفر فيها الشروط المذكورة آنفا ، فإذا توفرت هذه الشروط حصلت الشفاعة ، كما قال تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ ، فكل الخلق في ذلك اليوم في هيبة وجلال ؛ لعظيم سلطان الله تعالى ، وكلهم في خشوع وسكون ، كما قال تعالى : ﴿ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخنسعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴾ ، ثم قال سبحانه : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ أي خضعت وذلت ، ومن ذلك نبينا ﷺ ، الذي وعده ربه جل وعلا بالمقام المحمود ، وهو مقام الشفاعة الكبرى ، فقال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ والمقام المحمود هو مقام الشفاعة العظمى ، الذي تحمده عليه جميع الخلائق ﷺ وتغبطه عليه ، فإن الناس إذا اشتد بهم الكرب في ذلك اليوم يذهبون إلى آدم ، فيطلبون منه أن يشفع لهم عند الله ثم إلى

نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى وكلهم يعتذر ويحيل على غيره ، ثم يأتون عيسى عليه السلام فيقول: اذهبوا إلى محمد فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلا يجروا أحد من هؤلاء الأكابر أن يتقدم بين يدي الله تعالى ليشفع لأحد ، فمن دونهم من باب أولى وأولى ، فإذا أتوا نبينا محمدا ﷺ فإنه لا يتقدم بين يدي الله تعالى بالشفاعة أول الأمر ، وإنما يذهب ويخر تحت العرش ساجدا لله ، فيحمد الله تعالى بمحامد يفتحها عليه في ذلك المقام ، ثم يقال له : يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فيقول : ربّ أمّتي أمّتي ، فالمقام ليس بالأمر الهين ، فإذا أذن الله بالشفاعة شفعت الرسل ، وشفعت الأنبياء ، وشفعت الملائكة ، وشفعت الشهداء والمؤمنون ، يشفعون فيمن استحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها ، أو يخفف عنه من عذابها ، وفيمن دخل الجنة أن ترفع درجاته ، فالشفاعة أنواع ، ومنها شفاعة أرحم الراحمين فيُخرج أناسا من النار لم يعملوا خيرا قط ، فهذه كلها شفاعات مثبتة ، ونبينا ﷺ له عدة شفاعات أعظمها الشفاعة الكبرى ، التي تكون في أهل الموقف ، ومنها دخول أهل الجنة الجنة ، ومنها شفاعته الخاصة في عمه أبي طالب حيث أخبر أنه ( في ضحاح من نار ) ، قال النبي ﷺ : ( ولولا أنا ) أي شفعت فيه ( لكان في الدرك الأسفل من النار ) متفق عليه .

فإن قيل : لمن تكون الشفاعة يوم القيامة ؟ فالجواب : تكون لأهل التوحيد ، فتكون من أهل التوحيد في أهل التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق ، وهم يعلمون ﴾ ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : ( من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ) ، أي عالما بها عاملا بمقتضاها ، فهي لأهل التوحيد خاصة ، دون أهل الشرك ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ( إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ) ، نسأل الله تعالى أن يشفع فينا نبيه ﷺ ، وأن يدخلنا الجنة بمنه وكرمه ، من غير سابق عذاب ، ولا مناقشة حساب .

وإن قيل : لماذا حُرِمَ الشافع من الشفاعة إلا بعد إذنه سبحانه تعالى ؟ فالجواب : لأنهم لا يعلمون من يستحق الشفاعة ، فربما غرتهم الظواهر ، وهم أيضا لا يعلمون من أنفسهم أن لهم



من الطاعة ما يستحقون معها هذه المنزلة العظيمة عند الله تعالى ، والله جل وعلا وحده الذي يعلم من يستحقها ، فهو عالم بأحوال الشافع والمشفوع .

### (الجملة السادسة) ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾

ثم قال تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ (ما) ههنا موصولة ، وهي من صيغ العموم ، أي يعلم سبحانه وتعالى الذي بين أيدي الخلق ، أي كل ما كان أمامهم من الأمور المستقبلية ، ويعلم أيضا الذي خلفهم ، أي كل ما مضى من أمورهم ، من الأقوال والأفعال ، والأعيان والأحوال ، وعلى هذا فقد شمل علم الله تعالى كل شيء على اختلاف الزمن ، فهو يعلم كل الماضي ويعلم كل المستقبل ، يعلم السابق والحاضر واللاحق ، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها ، دقيقتها وجليلها ، حاضرها وغائبها ، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم السر وأخفى ، عالم الغيب والشهادة ، يعلم كل الأمور ، وما تخفي القلوب والصدور ، السر والجره عنده سواء ، وهذا لكمال علمه سبحانه وتعالى . وكمال علمه يظهر بأمور منها : أن علمه لم يسبق بجهل ، بخلاف علمنا فإنه مسبق بجهل ، كما قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ ، ومن ذلك : أن علمه لا يلحقه نسيان ، كما قال تعالى : ﴿ في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ ، ومن ذلك : العموم والشمول ، كما قال تعالى : ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، والله على كل شيء قدير ﴾ ، ومن عمومته أنه مختص بعلم الغيب ، قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ أي من قبل أن نخلق الخليقة ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ ، وقال النبي ﷺ : ( قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ) رواه مسلم ، ولهذا قال العلماء : صفة العلم أوسع الصفات ، لأنها تتعلق بالموجود والمعدوم ، حتى المعدوم يعلمه سبحانه وتعالى ، كيف يكون لو كان موجودا ، فهو يعلم ما كان في الماضي ، وما هو كائن في الحاضر ، وما سيكون في المستقبل بل وما لم يكن لو كان كيف يكون ، قال تعالى : ﴿ لو كان

فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴿﴾ ، قالوا : هذا لم يكن ، ومع هذا فقد علمه لو كان كيف يكون ، ومثله قوله تعالى : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون ﴾ .

والمقصود من ذلك أن الله تعالى عالم بجميع المعلومات ، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه مهما كان ، فهو عليم بكل شيء ، حتى دبب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء ، تحت الأرض الغبراء ، فإنه سبحانه يعلمها ، ويعلم حركة الذرة في جو السماء ، وأحوال الطير في الهواء ، والسمك في الماء ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

وذلك يوجب على العبد مراقبته تعالى فيما يأتي ويذر من الأقوال والأفعال ، والعقائد والنيات ، لأنه سبحانه وتعالى يعلمها ، وقد أخبر أنه يجازي عليها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ ، وقال سبحانه في الحديث القدسي : ( يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ) رواه مسلم .

### ( الجملة السابعة ) ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾

ثم قال الله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ قوله : ( ولا يحيطون ) أي الخلق ، فإنهم لا يدركون شيئا ، ولا يطلعون على شيء كبيرا كان أو صغيرا ، عظيما أو حقيرا من علمه سبحانه وتعالى إلا بما شاء ، ووجه هذا العموم مأخوذ من النكرة ( شيء ) في سياق النفي بـ( لا ) ، مع التوكيد بـ( من ) الزائدة ، الدالة على التنصيص في العموم ، وقوله : ﴿ إلا بما شاء ﴾ أي بما أراد هو أن يُعلمهم إياه ، فضلا منه وإحسانا ، وذلك لكمال سلطانه جل وعلا ، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ . فالخلائق كلها من الملائكة والرسل والأنبياء ومن دونهم من العلماء وغيرهم لا يمكنهم أن يدركوا شيئا من علم الله تعالى ، إلا بما علمهم هو جل وعلا ، قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ وكأنكم قد علمتم كل شيء وما بقي إلا الروح تسألون عنها ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ أي من الأمور والشؤون التي علمها بالله جل وعلا ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ، وهذه الروح مخلوقة من مخلوقات الله جل وعلا يحملها الإنسان بين جوانحه وجوانبه ، ومع هذا لا يدرك حقيقتها ، ولا يعلم كنهها ، فكيف يتطلع إلى أن يحيط بعلم الله سبحانه وتعالى ، أو كيف يريد أن يحيط علما بالله جل وعلا ؟ فإن هذا لا يمكن أبدا ؟ قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به

علماء ، وقال : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ، فالخلق لا يعلمون شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى ، وعلى هذا فالواجب على الإنسان أن يعرف حدوده ، وعليه أن يصدق بكل ما جاء في كتاب ربه تعالى ، وصح في سنة نبيه ﷺ ، ولا يُحْكَم العقل ليرد به الشرع ، لا سيما في الأمور الغيبية ؛ لأن العقل له حد محدود ، وهو قاصر كبقية أعضاء الإنسان قاصرة ، فيدَّه لا يستطيع أن يتناول بها كل شيء ، وقدمه لا يستطيع أن يمشي بها إلى كل مكان ، وبصره لا يرى به كل شيء ، فنحن الآن في المسجد ولا ندرك ما يحصل خارج المسجد ، فالبصر له حد محدود حتى لو خرجت إلى الصحراء ، فإن بصرك ينقطع وينتهي عند مرحلة معينة ، وكذا سمعك له حد محدود فلا تسمع كل شيء وهذا من رحمة الله تعالى بك أيها الإنسان ، إذ لو كشف الله لك عن كل شيء لهلكت ، كما قال النبي ﷺ في وصف ربه تعالى : ( حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ) ، فكذلك عقلك وعلمك فإنه محدود ومتفاوت ، بحسب ما يمن الله على العبد من العلم والفهم ، كما قال تعالى : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ، ولا أحد غير الله يعلم كل شيء ، حتى الرسل والأنبياء والملائكة والجن ، قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ أي ولم نفهمها داود ﴿ وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾ ، وقال الهدد لسليمان عليه السلام : ﴿ أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ ، وقالت الملائكة : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ، وقال تعالى عن الجن والشياطين : ﴿ فلما قضينا عليه ﴾ أي قضينا على سليمان ﴿ الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن ألو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ ، ومع هذا فعلم الخلائق كلها علم يسير بالنسبة لعلم الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ، وفي الصحيحين من حديث أبي بن كعب ، في قصة الخضر مع موسى ، قال : ( فلما ركبا في السفينة جاء عصفور ، فوق على طرف السفينة ، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين ، قال الخضر يا موسى : ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر ) .

ويتفرع على ذلك أن يستسلم الإنسان لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، إذا أراد أن يكون مؤمناً حقاً ، ولو قَصُر عقله عن إدراكه ، وأن يؤمن بذلك أعظم من إيمانه بما يرى ويسمع ، لأن البصر قد يخطئ والسمع قد يخطئ ، ولهذا العودُ في الماء يُرى منكسراً ، وهو مستقيم ، وتسمع صوتاً تظنه لفلان وليس له ، وترى الشخص تظنه فلاناً ، وليس بفلان ، قال تعالى : ﴿ حتى

إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴿ والشمس أعظم من الأرض بمرات كثيرة . قيل بأكثر من مليون مرة . ، ومع ذلك يراها الإنسان عند الغروب تسقط في البحر ! وقال تعالى عن أعمال الكفار : ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ ، فما أعظم قصور الإنسان ! .

وفي الآية إثبات صفة المشيئة لله جل وعلا ، والنصوص في ذلك كثيرة ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وعلى ذلك مذهب السلف الصالح ، وإجماع أهل السنة والجماعة .

### (فصل)

المشيئة نوعان : مشيئة كونية قدرية ، ومشيئة شرعية ، والفرق بينهما من جهتين : الأولى : أن المشيئة الكونية يلزم منها الوقوع ، أي لابد أن يقع متعلقها ، بخلاف الشرعية فقد يقع وقد لا يقع ، والثانية : أن المشيئة الكونية لا يلزم منها الرضا والمحبة ، بخلاف الشرعية فإنه يلزم منها المحبة . فمثلا إيمان كل الناس شاءه الله شرعا ، فهو يحبه سبحانه من عباده ، ولهذا أمرهم به فأرسل رسله وأنزل كتبه ، ومع هذا فإنه لم يقع ؛ لأن منهم من آمن ومنهم من كفر ، والكفر لا يشاؤه الله شرعا ؛ لأنه لا يرضى لعباده الكفر ، ومع هذا فقد شاءه سبحانه كونا وقدرا لأنه وقع ، إذ لو لم يشأه كونا لم يقع ، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء ، وعلى هذا فإن المشيئتين قد تجتمعان وقد تفترقان ، فمثلا إيمان أبي بكر شاءه الله شرعا لأنه يحبه ، وكونا لأنه وقع ، وكفر أبي بكر لم يشأه الله لا شرعا ولا كونا ، لأنه لا يحبه ولم يقع ، وإيمان أبي لهب شاءه الله شرعا لأنه يحبه ، لا كونا لأنه لم يقع ، وكفر أبي لهب شاءه الله كونا ؛ لأنه وقع لا شرعا لأنه لا يحبه . هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الإرادتين والتفريق بينهما ، ومن لم يثبتهما على هذا التفصيل فقد ضل سواء السبيل ، كالجبرية الذين أثبتوا المشيئة الكونية دون الشرعية ، فوقعوا بسبب ذلك في الاحتجاج بالقدر على المعاصي ، فكانوا أشبه بالمشركين ، الذين قال الله فيهم : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾ ، والقدرية الذين أثبتوا الشرعية دون الكونية ، وبسبب ذلك أثبتوا خالقين ، فكانوا مجوس هذه الأمة كما قال النبي ﷺ : ( القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم ) رواه أبو داود .

## (الجملة الثامنة )

### ﴿ وسع كرسیه السموات والأرض ﴾

وقوله جل وعلا : ﴿ وسع كرسیه السموات والأرض ﴾ قوله : ﴿ وسع ﴾ أي شمل ، و (الكرسي) هو موضع القدمين ، كما ورد ذلك عن ابن عباس وغيره من السلف ، ورجحه المحققون من العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما ، وهناك العرش وهو أعظم من الكرسي ، ولا تسل عن الكيفية ، فلا تقل كيف ، ولا تقل ليش ؛ لأن هذه الأمور فوق مستوى عقلك أيها الإنسان ، وهي من أمور الغيب ، التي يجب الإيمان بها ، والتسليم لها ، فقوله تعالى : ﴿ وسع ﴾ أي شمل ﴿ كرسیه السموات والأرض ﴾ ، وهما مخلوقتان عظيمتان ، أي السموات السبع والأرضون السبع ، ومع هذا فالكرسي أعظم منهما ؛ لأنه يشملهما ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : ( ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ) رواه ابن مردويه ، فما أعظم مخلوقات الله جل وعلا ، وهذا يدل على أن الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش ، وأنه عين قائمة ، وليس شيئا معنويا ، ويدل أيضا على عظمة الخالق جل جلاله وعظم سلطانه ، فإذا كانت مخلوقاته بهذه العظمة ، فكيف يكون الخالق لها سبحانه وتعالى ، فلا شك أن الله جل وعلا أكبر ، كما نقول في الصلاة : ( الله أكبر ) ، فهو أكبر وأعظم وأجل من كل هذه المخلوقات ، ﴿ ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف ، وقد نُقِلَ عن بعضهم أنه علمه وهو قول ضعيف . وقال الشيخ الألباني رحمه الله : وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه العلم فلا يصح إسناده إليه .

## (الجملة التاسعة )

### ﴿ ولا يئوده حفظهما ﴾

ومع عظم هذه المخلوقات فإنه سبحانه وتعالى ﴿ لا يئوده حفظهما ﴾ أي لا يثقله ، ولا يتعبه ، ولا يشق عليه ﴿ حفظهما ﴾ أي حفظ السموات والأرض وما فيهما ، بل وحفظ جميع المخلوقات ، فالأمر عنده سبحانه وتعالى هين وسهل ، فلا يلحقه ضرر ولا أذى ، ولا يصيبه تعب ولا إعياء بحفظ السموات والأرض ، وذلك لعظيم قوته ، وكمال علمه وقدرته ، فهذا النفي تضمن كمال علمه وقدرته جل وعلا ، كما قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما

بينهما في ستة أيام ، وما مسنا من لغوب ﴿ ، وقال تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

### ( الجملة العاشرة ) ﴿ وهو العلي العظيم ﴾

ثم ختم سبحانه وتعالى هذه الآية العظيمة بقوله : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ ﴿ العلي ﴾ أي الذي له العلو المطلق ، من جميع الوجوه : علو الذات والقدر والقهر ، فهو سبحانه وتعالى عال بذاته على جميع مخلوقاته ، فليس فوقه شيء ، وهو سبحانه وتعالى عال علو قدر ومكانة وشرف ، وهو سبحانه وتعالى أيضا عال علو قهر وغلبة على جميع خلقه ، كما قال جل وعلا : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ .

وكل ذلك مسلمٌ فيه ، حتى علو الذات فإن الأدلة كلها تشهد بذلك ، فالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ، والعقل والفطرة كلها تشهد بعلو ذاته سبحانه وتعالى فوق جميع مخلوقاته ، فمن الكتاب الآيات ، التي تدل على صفة العلو ، كقوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ، ﴿ وأن الله هو العلي الكبير ﴾ ، والآيات التي تدل على أنه في السماء أي في جهة العلو ، كقوله تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ ، والآيات التي تدل على فوقيته ، كقوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ ، وقوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ ، والآيات التي تدل على صعود الأشياء ورفعها وعروجها إليه سبحانه ، كقوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ ، وقوله : ﴿ إني رافعك إلي ﴾ ، وقوله : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ ، وقوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ والعروج هو الصعود ، والآيات التي تدل على نزول الأشياء منه ، كقوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾ ، والآيات التي تدل على استوائه على العرش ، الذي هو أعلى المخلوقات ، كقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وقوله : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ ، والآيات التي تدل على أن من عنده لا يستكبرون عن عبادته وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يسمأون ولا يفترون ، وهم الملائكة لا الناس ، كقوله تعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ ، وقوله : ﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون ﴾ ، ومن السنة قوله ﷺ للجارية : ( أين الله ؟ قالت : في السماء ) أي في جهة

العلو ( قال : اعتقها فإنها مؤمنة ) رواه مسلم ، وقصة المعراج حيث عرج به ﷺ إلى ما فوق السموات السبع وكلمه ربه جل وعلا ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، وأجمع السلف الصالح على علو ذاته سبحانه وتعالى ، والعقل يقضي بأن جهة العلو هي أشرف الجهات وأكملها ، فكان تعالى أحق بها من غيرها من الجهات ، والفطرة داعية لذلك فإنه ما من أحد إلا ويجد من نفسه ضرورة إلى اللجوء والاتجاه إلى جهة العلو عند الشدائد والمصائب رغبة في كشفها وإزالتها ، وما ذلك إلا لإيمانها بعلو الله تبارك وتعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ومن هنا نعلم خطأ من ينفي علو الله جل وعلا مع تواتر هذه الأدلة، أو يقول : إن الله في كل مكان ، فإن هذا غلط عظيم، ولوازمه باطلة ، ولا يشكل على ذلك كونه سبحانه وتعالى معنا ، فإن هذا لا ينافي علوه جل وعلا فهو عال بذاته ، ومع جميع مخلوقاته بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته بجميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، ونصرته لعباده المؤمنين ، وخذلانه للكفرة والمشركين ، كما قال تعالى لموسى وهارون : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ العظيم ﴾ أي الكبير في كل شيء ، كقوله تعالى : ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ فهو عظيم أي كبير في ذاته ، وجميع أسمائه وصفاته ، فله سبحانه وحده العظمة الكاملة ، التي لا شيء أعظم منها ، ولا أجل ، ولا أكبر منها ، استفدنا هذا الحصر من تعريف طرفي الجملة ، فإن طرفي الجملة إذا كانا معرفتين دل ذلك على الحصر ، فالمبتدأ (هو) معرفة ، والخبر (العلي) والمعطوف عليه (العظيم) معرفة أيضا ، أي هو وحده العلي العظيم ، أي الذي له العلو المطلق والعظمة الكاملة دون غيره ، كقولك : زيد القائم ، أي لا قائم إلا زيد ، بخلاف قولك : زيد قائم ، بتكثير الخبر ، فإنه لا يمنع أن يكون غيره قائما أيضا .

ومن تعظيمه سبحانه وتعالى تعظيم شرعه ، بامثال أمره ، واجتناب نهيه ، وتعظيم رسوله ﷺ بطاعته ، واتباع سنته ، وتقديم كلامهما على كلام غيرهما مهما كان ، ومهما بلغ ، قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع بصير ﴾ ، وتعظيم العلماء واحترامهم وتوقيرهم ، والذب عن أعراضهم ، لأنهم حملة الشرع المبين ، وحماة هذا الدين ، ولا قوام للناس إلا بالدين ، ولا قوام للدين إلا بمن يحمله ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يعظم

شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴿ ، والحذر كل الحذر مما ابتلي به بعض الناس في هذا الزمن من تنقصهم لأهل العلم ، والخوض في أعراضهم ، وغمزهم ولمزهم بما هو فيهم ، وما ليس فيهم ، من الغيبة أو البهتان ، والسعي الحثيث ، والتتقيب والتفتيش عن أخطائهم وزلاتهم ، ثم التفكك بها في مجالسهم ، وجعل ذلك شغلهم الشاغل ، فإن حرمتهم عند الله عزيمة ، وسنة الله في خذلان من عاداهم وانتقصهم قوامة ، قال الله تعالى في الحديث القدسي : ( من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ) خرجه البخاري في صحيحة ، وقال النبي ﷺ : ( ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه ) رواه الإمام أحمد ، وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله : ( واعلم . يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته . أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ) ، وقال أيضا : ( فإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب ) . اهـ ، نسأل الله العفو والسلامة .

فاللهم لك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، سبحانه لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، نسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، وجلاء همومنا ، وذهاب أحزاننا وغمومنا ، اللهم علمنا منه ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نسينا ، واجعله لنا لا حجة علينا ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم وفقنا لاتباع نبيك ﷺ ظاهرا وباطنا ، قولا وعملا واعتقادا ، فعلا وتركيا ، اللهم وأكرمنا بشفاعته ، واسقنا من حوضه ، ونجنا من عذاب النار ، وتوفنا مع الأبرار ، وأدخلنا الجنة بفضلك ورحمتك يا عزيز يا غفار ، من غير سابق عذاب ، ولا مناقشة حساب . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

### ( ملخص ما تقدم من تفسير آية الكرسي )

هذه الآية أعظم آية في كتاب الله ، ولها فضل عظيم ، وقد اشتملت على عشر جمل ، كل جملة دلت على معاني عظيمة ، ونلخص مجمل هذه المعاني في الآتي :

( ١ ) الله جل جلاله هو وحده المعبود بحق ، فيجب أن يفرد سبحانه بالعبادة ، التي هي الغاية من الخلق ، وما سواه من الآلهة فهي معبودات باطلة ، تقود من عبدها إلى نار جهنم ، والعياذ بالله .



(٢) ومن أسمائه . تعالى . (الحي) الذي له الحياة الكاملة ، التي لم تسبق بعدم ، ولا يلحقها فناء ، ولا نقص فيها بوجه من الوجوه ، وغيره سبحانه وتعالى حياته ناقصة ، لأنها مسبقة بعدم ويلحقها فناء ، وهي أيضا بين ذلك ناقصة . ومن أسمائه أيضا: (القيوم) وهو القائم بذاته المقيم لجميع مخلوقاته ، فهو قائم بذاته غني عن جميع مخلوقاته ، ومخلوقاته قائمة به ، لا غنى لها عنه سبحانه وتعالى .

(٣) ولكمال حياته وقيوميته . تعالى . لا يغلبه نعاس ، ولا نوم الذي هو أقوى من النعاس، إذ كيف ينعس أو ينام من به قيام جميع هذه الخلائق ، فلو أنه نام لحظة لفسدت .

(٤) وهو . سبحانه . وحده المتفرد بخلق وملك وتدبير السموات والأرض وما بينهما وما فيهما ، لا شريك له في ذلك ، فإذا كان كذلك وجب أن يفرد سبحانه وتعالى بالعبادة ، والتي هي منتهى الذل والخضوع والطاعة ، دون غيره ممن لا يخلق ، ولا يملك ، ولا يدبر شيئا .

(٥) لله جل وعلا الشفاعة جميعا ، فلا يتمكن أحد من أن يتوسط لأحد في جلب نفع ، أو دفع ضرر ، مهما بلغت مكانته ، أو علت منزلته ، وارتفع قدره ، إلا بعد أن يأذن الله له في الشفاعة ، ويرضى عن المشفوع ، ولا يأذن الله بالشفاعة إلا لأهل التوحيد .

(٦) وهو . سبحانه . قد أحاط بكل شيء علما ، فلا تخفى عليه خافية ، في الأرض ولا في السماء ، لا من الأقوال ، ولا من الأفعال ، ولا من الأعيان ، ولا من الأحوال ، بل يعلم السر وأخفى ، يعلم ما في القلوب ، وهو وحده علام الغيوب ، فواجب على العباد أن يحذروه سبحانه ، فإنه مجازيهم على ما قدموه من أعمال في هذه الدار ، من خير أو شر .

(٧) لا أحد من الخلق يدرك من علم الله شيئا ، لا كثيرا ولا قليلا ، إلا ما تفضل الله به عليه ، فعلمه مما يشاء ، ومع هذا فعلم جميع الخلائق يسير جدا بالنسبة لعلم الله جل وعلا .

(٨) الكرسي خلق عظيم من مخلوقات الله جل وعلا، وهو موضع القدمين، ومن عظمته أنه شمل السموات السبع ، والأرضين السبع ، وما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة .

(٩) ولا يشق عليه . سبحانه . حفظ السموات والأرض ، بل وحفظ جميع مخلوقاته ، مما هو أعظم منهما كالكرسي والعرش ، وذلك لكمال قدرته ، وعظيم قوته ، وواسع علمه ، سبحانه وتعالى .

(١٠) وهو متصف بالعلو المطلق ، علو الذات والقدر والقهر ، فهو عال بذاته فوق جميع مخلوقاته ، وهو عال علو قدر ومكانة وشرف ، وهو عال علو غلبة وقهر . وهو أيضا متصف

بكمال العظمة ، فهو الكبير المتعال في ذاته وجميع صفاته ، سبحانه وتعالى ، لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه .  
وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه : علي بن سالم بن يعقوب باوزير

بتاريخ : ١٠ شوال ١٤٢٥ هـ

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس  
حضر موت . غيل باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي  
حضر موت . غيل باوزير . معيان الشيخ